حصل على الكثير من النقاط باستطلاعات الرأي الاخيرة وخصوصا بعد تمسكه بسياسة شارون

اولمرت لا زال صاحب الحظ الاوفر في تشكيل الحكومة القادمة رغم تشابك وتعقيد الخارطة الحزبية السياسية في اسرائيل

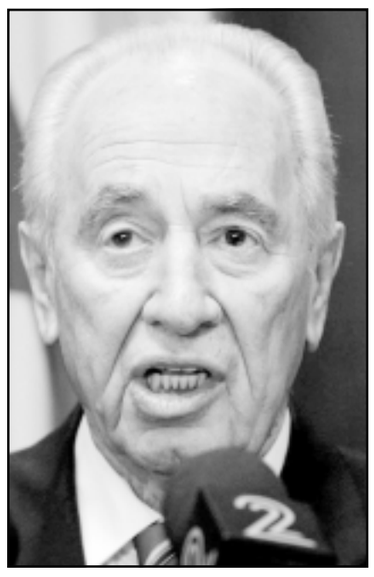

شمعون بيريس

اريبل شارون

ايهود اولمرت

■ حين يسأل أحدهم ايهود اولمرت «ماذا تشعر الان؟» فانه يصمت للحظة ويظهر عليه الاحساس العميق بالمسؤولية ويقول: اشعر وكأن اريبل شارون قال لي "سأخرج لاستراحة، اهتم انت بالامور واحرص على أن يكون لي ما يجعلني اعود". هكذا يشعر اولمرت الان في الاسبوع الاول من شغله لمنصب رئيس الحكومة بالوكالة، وهو الشعور بمسؤوليته على امر صنعه شارون وتركه بين يديه وسيعود لاسترداد هذه العهدة بعد وقت قصير.

الذين يعرفون اولمرت ممن يعرفون بأن هذا ليس من طبيعته، الا أن ما يميزه في الاونة الاخيرة هو تواضعه، وان الاحساس بالمسؤولية فعل به شيئا ما. «الناس لا يعرفون حجم العمل اللازم لضمان أمن دولة اسرائيل»، هذا ما عبر عنه مصدر كبير في هذا الجهاز، لا احد يصدق ما هي الاحداث التي يمكن ان تقع يوميا في ارجاء المعمورة واي قرارات يتوجب على المسؤول عن كل ذلك ازاء ما يحدث.

فجأة يدخل عليك رئيس الاركان، وقائد الموساد وقائد جهاز الامن العام، وتعي بأنك انت المسؤول عن جميع هذه الامور، وهذا يجعلك تفقد كثيرا من بساطتك لانك تفهم ما الذي يشغلك فعلا. فلا وقت للاغلاط ولا وقت لتضييعه على المناورات ولعبة القوى.

هذا ما حدث لاولمرت، فقد وضعت بين يديه حقيبة مهمة وهو يتعلم كيفية التعاطي مع مسؤوليتها وان الاسلوب الرصين الذي يتعامل به ليس لعبة ولا عبوسا مجردا بل إنه يعكس الفهم الحقيقي لما هو مقدم عليه.

اذا كنا سنعطي اولمرت علامة على كيفية تصرفه خلال الاسبوع الماضي فانه يستحق علامة قياسية، فانه لم يرتكب اي خطأ منذ لحظة دخول شارون المستشفى وانعقاد جلسة الحكومة الاولى برئاسته وحتى الان، وانه منذ قرر الجلوس بجانب المقعد الفارغ حول طاولة الحكومة يكون قد حدد فهمه لرغبة الجمهور وكيفية تعامله معه بصورة جيدة، فهذا ينبه ويوضح المعرفة بأنه ـ اولمرت ـ يعرف مكانته، وهذا ما ذكر احدى الموظفات الكبيرات في ديوان رئيس الحكومة باليوم الذي حضر فيه شمعون بيريس للحكومة في اليوم التالي لمقتل رابين وجلس فورا في مقعده!.

يوم الخميس الماضي كان اليوم الاصعب الذي عرفه ديوان رئيس الحكومة في اسرائيل منذ يوم مقتل اسحق رابين، وفقد واصل اولمرت طريقه نحو الطابق الثالث مباشرة لدى وصوله ديوان رئاسة الوزراء دون التوقف في الطابق الاول عند مكتب شارون، وان الاشخاص الذين شاركوا فيها لن ينسوا ذلك ابدا، وان المساعدين والمستشارين كانوا قد سبقوا في الوصول ووقفوا الى جانب المكتب الفارغ، وهناك ذرفوا الدموع لاول مرة، وبعد افتتاح جلسة الحكومة أخذوا يتوافدون على الاجتماع واحدا تلو الاخر.. سكرتير الحكومة «اسرائيل ميمون» الذي اعتاد على الجلوس الى جانب شارون.. ثم مستشاره الاعلامي الذي اعتاد على وضع آلة التسجيل امامه وادخال الصحافة في بداية الاجتماع.. ثم ليئور شيلات وايرز حلفون، كل واحد ووظيفته والى مكانه، فجميعهم وصلوا قادمين من المستشفى بعد قضاء ليلة مضنية ودخلوا الى غرفة الاجتماعات، الا ان هذه الغرفة المليئة فرغت من تواجد سطوة شارون. أحد رجال شارون قال: «لقد بكينا جميعا بما فينا دوف فايسغلاس كبير السن الذي لم يتمكن من حبس دموعه، وكانت هناك لحظة اخرى قاسية مرت علينا بعد الجلسة الاولى للحكومة دون شارون صباح يوم الاحد، بعد انفضاض الجلسة ونزول اولمرت الدرج، وحين خرج من الردهة الاولى باتجاه الرواق حيث مكتب رئيس الوزراء شاهد سائق شارون «زيلبر» وهو يبكي، فتوجه اليه اولمرت وعانقه وأخذ الرجلان بالبكاء، وحينها تراجع الكل الى الوراء بصمت وبكاء.

منذ ذلك الوقت وجميع المستشارين المقربين يتواجدون في المستشفى، وان جوا يشبه اجواء المعاقين يعم مكتب رئيس الحكومة، وان اولمرت تصرف بحساسية بأن يعمل في مكتبه لا في مكتب شارون ـ كما يقول احدهم ـ فانه سيحدث صريرا لو تصرف على نحو غير هذا، وبذلك فهو يتصرف بانسانية واضحة، وانهم حين يفكرون ويذكرون اولمرت فان أول ما يتبادر للجميع هو مرارة تعامله وحساسيته تجاه الجميع، وكأن ما اظهره في الاسبوع الاخير حاول ان يقول لنا «خذوا وقتكم فانا لست متعجلا».

اولمرت قال لرجاله هذا الاسبوع بأنه يريد من مستشاري شارون ان يعملوا معه، اعرف بأنهم سيكونون معي «كلهم» لكنهم بحاجة لبعض الوقت، فجميعهم مروا بصدمة، وليس من المعقول ان ينفضوا ثيابهم بسرعة ويشتغلوا وكأن امرا لم يحدث، فهذا امر قد حدث، والكل سيستوعب ذلك وان ينتظر نضوج نفسياتهم من جديد والعمل بعد التغيير، وان بعض الذين لا زالوا غير قادين على النهوض من جديد والاعتياد على الوجهة الجديدة تعتير فئة صغيرة، فحين يفكر هؤلاء بأن ذلك الرجل لا يزال راقدا هناك وانهم لا يستطيعون رؤيته فانهم يشعرون بالخوف القاتل.

مثل هذا الشعور «الخوف الى جانب الامل القليل» يعم غالبية الجمهور، وان استطلاع الرأي المشترك الذي اجرته «يديعوت احرونوت» مع معهد «داحف» برئاسة د. مينا تسيمح يظهر بأن 63 في المئة من الجمهور يشعرون بالحزن بسبب وضع شارون الصحي، وان 18 في المئة أعربوا عن شعورهم بالخوف والتخوف وانه فقط 19 في المئة اجابوا باتزان.

كما أن نسبة كبيرة من الجمهور (75 في المئة) يعتقدون بأنه يجب على الاطباء الذين لا يشاركون فعليا بعلاج اريبل شارون الامتناع عن المقابلات الصحافية والتحدث عن صحة شارون، وان 81 في المئة من الجمهور يعتقدون بأن التقارير الصادرة عن اطباء هداسا يوثق بها. ولكن حين تسأل الجمهور عما اذا كانت المعلومات التي صدرت فور ادخال شارون للعلاج كانت صحيحة وكاملة أم تم اخفاء معلومات عن الجمهور، فان 46 في المئة من الجمهور يعتقدون بأنهم اخفوا معلومات مقابل 45 في المئة يعتقدون بان الجمهور حصل على كل المعلومات الطبية. وبعد اسبوع من دراسة سريعة كالبرق للمعلومات الخاصة بأمراض القلب فان الجمهور يشعر بقدرته على تقدير نوعية العلاج الذي يتلقاه رئيس الوزراء. حوالي 49 في المئة من الجمهور يعتقد بأن شارون حصل على علاج طبي جيد بعد الجلطة الدماغية الاولى التي حدثت له، مقابل 30 في المئة يعتقدون بأنه لم يحصل على العلاج الصحيح، وان 55 في المئة يعتقدون بعدم حدوث كارثة طبية لشارون مقابل 32 في المئة يعتقدون بحدوثها، ومع ذلك فنسبة كبيرة من الجمهور 77 في المئة لا يعتقدون بوجوب تشكيل لجنة تحقيق لفحص طريقة العلاج التي قدمت لشارون.

يجب ان لا نقلل من قدرة الطريقة التي اوصلت الجمهور تدريجيا لمعرفة حقيقة وضع شارون الصحي، فعلى الرغم من الحب الذي يتمتع به رئيس الحكومة والحزن الذي يتجاوز الحدود والمعسكرات فان 87 في المئة من الجمهور الاسرائيلي لا يعتقد بأن شارون سيعود يوما ليكون رئيسا للوزراء، وان 12 في المئة فقط لا زالوا يؤمنون بأن شارون سيعود الى مقعد رئيس الحكومة.

قرار اولمرت الحكيم

التقارير المتلاحقة الواردة من الطابق السابع في مستشفى هدايا والتي تجاوزت مسألة حق الجمهور بالاطلاع والمعرفة الى حق «سرية الفرد» تتحول شيئا فشيئا من دراما قومية الى مأساة انسانية، شخصية وعائلية، وان اولمرت، باحساسه الغريزي القوي، فهم منذ اللحظة الاولى بان الموضوع يدور حول دراما انسانية ضخمة وانه ليس الممثل الرئيس فيها، وبحكمته الجيدة، فقد اخلى المنصة الاولى لشارون وأبعد نفسه كثيرا عن الجمهور وعن وسائل الاعلام، وانه ـ اي اولمرت ـ يعرف جيدا بأن لشارون نظرية وحضوراً عملاقاً، وان اولمرت يعرف بانه من المحظور عليه الاستحواذ عليه، بل عليه ان يمنحها كل التقدير وان يعطيها كل الوقت اللازم لها.

العبارات القليلة التي صدرت عن اولمرت والتي وصف نفسه فيها بأنه البديل المؤقت لشارون فانه لا تدل على اننا نتحدث عن شخص لا يفهم حقيقة وضع شارون الصحي، بل على العكس من ذلك، تدل على انه يفهم ذلك جيدا، ويفهم بأنه ـ اولمرت ـ يسير فوق بيض هش وان خطواته يجب ان تكون صبورة ومتمهلة لانها مصيرية وحاسمة وان بعض الكلام قد لا يكون ضروريا وستظهره وكأنه قصير النفس وردة فعلة متهورة.

وحين يتحدث اولمرت عن شارون، فانه يتحدث عن شخصية يقدرها وعن نموذج يحتذى به وعن نموذج لشخصية «توراتية»، وانه شخص تمكن من الوصول الى زعامة الدولة بعون من اليمين، وأنه تمكن ـ شارون ـ خلال سنوات حكمه من بسط سلطته بهدوء واستقرار، ومع ذلك فقد اختار بارادته ان يحطم المفاهيم السائدة لانه يعتقد بقدرته على ايصال شعبه الى الارض الموعودة. فقد اقدم على اتخاذ وجهة حادة، فقد معها الاغلبية اللازمة له في الكنيست، وفي المجلس الوزاري المصغر وفي الحزب، ومع انه كان قادرا على التوقف في كل منعطف، الا انه فضل الاستمرار، وفي اوج لحظات نجاحه وكزعيم يحظى بالحب والتقدير يسعى كبار قادة العالم نحوه.. فجأة، اصبح هذا الشخص يصارع من أجل حياته.

ان الاحساس «بالتقدير لزعيم كبير لم يتمكن جسمه من الاحتمال» سيكون التوجه الذي سيحاول اولمرت الحفاظ عليه حتى موعد الانتخابات، بما في ذلك شجاعة قلب شارون، والزخم والسير عكس كل الاحتمالات، وان اولمرت يقول لرجاله موضحا بأن «المودة الكبيرة التي أكنها لشارون هي التي اوصلتني الى هنا.. وانا اتمتع بقوة قلبه».

تصرف اولمرت أمام مكتب شارون، يعتبر حقيقة نجح اولمرت من خلالها بالتواصل مع الجهاز الحكومي دون صرامة ودون الانشغال بالامور السياسية الصغيرة اعتبرت كانجاز لصالحه. وان نتائج الاستطلاع المنشورة في «ملحق السبت» تظهر ان الجمهور الاسرائيلي منح اولمرت المصداقية لدخول سهل الى هذه المكانة. لا احد يصدق ماذا يفعل هذا المنصب للانسان، وان اولمرت الذي كان بعيدا عن التأييد في استطلاعات الرأي السابقة انقلب بسرعة للاكثر شعبية لدى الجمهور، وحتى لو اخذنا بعين الاعتبار ان الجمهور يتعامل معه من خلال نظرة نفسية لا يمكن تجاهلها ولا علاقة بقربه من رئيس الوزراء وظهوره وكأنه الوريث الطبيعي له، الا ان هذه النتائج تعتبر مذهلة.

71 في المئة من الجمهور الاسرائيلي اعطت اولمرت علامة ممتازة على دوره كرئيس للوزراء بالوكالة، وان 11 في المئة فقط اعطوه تقديرا سلبيا، وان 21 في المئة من الجمهور اجابوا بان رأيهم به قد تغير نحو الافضل منذ تسلم مهامه الاخيرة، وان اولمرت حظي بالتقدير الاول بكل ما له علاقة بقدرته على التعاطي مع جميع القضايا باستثناء الاقتصادية منها. وأنه من بين جميع الزعماء الاخرين، بل ان اولمرت اعتبره الجمهور الاقدر والاكثر ثقة بالاهتمام بالقضايا الأمنية وانه سيعمل من اجل احلال السلام. وان نتنياهو ـ فقط ـ حظي بالتقدير الاول (36 في المئة) بالنسبة لقدرته بالناحية الاقتصادية مقابل حصول بيرتس على 25 في المئة واولمرت على 25 في المئة ايضا.

سؤال آخر حصل نتنياهو على المرتبة الاولى فيه ـ وحتى لو لم تكن هناك حاجة لطرحه: من هو الاقل استقامة بنظرك؟ حيث حصل نتنياهو على 56 في المئة من الاراء، وبيرتس على 23 في المئة وان 9 في المئة فقط يعتقدون بان اولمرت اقل استقامة، وردا على سؤال: من هو الزعيم الذي يحظى باحساس اقوى لديك؟ كانت الاجابة لصالح اولمرت (36 في المئة) مقابل 22 في المئة لبيرتس و10 في المئة فقط لنتنياهو، مع ان اولمرت لم يكن بهذه المرتبة قبل اسبوع. ومن منهم اكثر ملاءمة لتولي منصب رئيس الوزراء؟ اجاب 45 في المئة بأنهم يعتقدون بأن اولمرت هو الانسب وان 23 في المئة يعتقدون بان نتنياهو وفقط 12 في المئة بيرتس. وحول السؤال الاكثر اثارة في الفحص المثير هذه الايام «من هو الاكثر ملاءمة ليكون خليفة لشارون؟» فأجاب 53 في المئة قالوا بان اولمرت هو الافضل، 4 في المئة قالوا انه بيرتس، و16 في المئة منحوا نتنياهو ذلك.

بيريس.. وفقدان الاحترام

القرار السياسي الاول الذي اتخذه اولمرت بجدية ودون تردد، والذي فاجأ به ـ حتى ـ رجال شارون الذين اعترفوا بأن شارون كان مترددا للغاية من اتخاذه، فقد استدعى ـ اولمرت ـ يوم الخميس الماضي وزير الدفاع شاؤول موفاز ورؤساء اجهزة الامن الاخرين واخبرهم بقراره الموافقة على السماح باجراء الانتخابات للمجلس التشريعي الفلسطيني في دوائر البريد في القدس. واخبرهم كذلك بأنه بصدد بذل جهود حقيقية بمحاولة لاضفاء اجواء على المسيرة السياسية، وان قصده كان اجراء مباحثات حول موضوع الانتخابات وتبعياتها، وانه لهذا الغرض سيطلب من دوف فايسغلاس الاشتراك في هذه المداولات التي سيطرحها قريبا امام الحكومة لمناقشتها. هكذا كانت الخطة، الا ان موفاز سبقه باعلان شوش على اولمرت حيث اعلن عن نيته السماح باجراء الانتخابات قبل بحث ذلك، وانه لا يمكن تفسير خطوة موفاز الا كأحد أمرين: إما انه اخطأ بذلك، أو أنه اراد القيام بخطوة اختبار القوة، وكأنه يقول لاولمرت «انا من يقرر في هذه المسائل ولست انت»، وان اولمرت ـ على عكس شارون ـ لم ينفعل أو يحتد من تصرف موفاز وتعامل معه ببرود، مع أن شارون كان سيتفجر غضبا لو اقدم احدهم على ذلك، لكن اولمرت تعامل مع الموضوع وكأنه يعرف هذه الالاعيب السياسية.

وكذلك خطوته منح شمعون بيريس المرتبة الثانية في قائمة «كديما» كانت خطوة ناجحة مع ان الكثيرين اعتبروها خنوعا، وعلى عكس ما يواصلون الادعاء به، فان بيرس لم يكن في قائمة شارون الرجل الثاني، بل ان الامر بدأ برغبة بيريس «عدم التنافس من جديد للكنيست» او على الاقل هذا ما قاله، وعاد بعد اسبوع من ذلك وندم على موقفه واتفق مع شارون على المرتبة السابعة في القائمة، وان من يتابع الامور فان هذه كانت المرتبة نفسها التي رضي بها موشيه ديان في حينه في حزب «رافي» التاريخي والذي كان بيريس من مؤسسيه ـ كما حاول تعليل ذلك فيما بعد.

وبعد أن نشر «امنون ابرموفيتش» قائمته التي تمكن من الحصول عليها، وجد بيريس نفسه في مكان بعد حاييم رامون «مع كل الاحترام لديان»، فان بيريس لا يمكنه البقاء بعد رامون. فقد فكر ـ وبصدق ـ بأنه يستحق ان يكون الاول من بين اعضاء حزب العمل في قائمة كديما، وان هذا الاعتقاد شاركه به عدد من مستشاري شارون، حيث قالوا «بأنه اذا كان لا بد من اخذ بيريس للقائمة كذخر انتخابي فلا بد من رفعه كعلم يرفرف وليس اخفاء مكانه».

وكما يقولون فان بيريس طلب من شارون بواسطة «رام كسبي» وضعه في المرتبة الخامسة، وعلى الرغم من عدم وجود توثيق خطي لذلك الا انهم يؤكدون تفهم شارون لذلك، كما ان حقيبة الخارجية لم تكن مضمونة لبيريس في حكومة شارون القادمة، وان وزارة الخارجية كان سيتسلمها ـ فقط ـ كمرحلة انتقالية في حالة اقدام وزراء الليكود على الاستقالة.

مصير نتنياهو المر

امتحان اولمرت سيكون خلال الشهر الحالي: الانتخابات التشريعية الفلسطينية وانعكاساتها السياسية والامنية، فانه يعد نفسه بجدية وسرية، ويعرف بانه سيحاكم على أمرين: حول ادارته وحول كيفية اتخاذه للقرارات. وبكل ما له علاقة بالادارة، فان التخوف الاكبر يتمحور حول كل ما له علاقة بالقرارات السياسية، فهو يعرف ان الجمهور الاسرائيلي لن يطول صبره على خطوات لا يعرف متى سينتهي منها ويرى نتائجها وسيحكم عليه بناء على نتائج خطواته.

الكل يعرف بأن اولمرت شخصية مركبة، فهو مرح خفيف الظل، سهل المعشر ويعرف كيف يستمع ويتحدث ويستضيف الاخرين في مكتبه وما الى ذلك، ومن ناحية اخرى، فانه بارد الاعصاب حين يريد، صلب، عميق التفكير. وقد انتهت الايام التي كان فيها يجري مقابلة مع راديو اسرائيل في السابعة صباحا، وفي الثامنة مع اذاعة الجيش الاسرائيلي، وبعد الظهر مع برنامج «عيرف حداش» مع التلفزيون الاسرائيلي والتي كان لا يتوقف خلالها عن مهاجمة الاخرين والجدل مع الخصوم ويثقف وسائل الاعلام، وانه يتحول من شخصية رسمية كما يقولون.

يوم الاربعاء الماضي ظن البعض ان الخطأ الاول قد حدث، وذلك لدى الاعلان عن وضع اسم شارون على رأس القائمة للانتخابات القادمة، لان الكثير من الاحزاب تعاملت مع الامر بصورة سلبية، لان الاحزاب كلها ظلت طوال اسبوع صامتة ولا تفتح فما في السياسة مع أن البعض ثار ضد نتنياهو وضد الوزيرة لفنات بسبب المقابلات الصحافية التي نشرت عنهما وحديثهما عن شارون في الوقت الذي امتنع فيه اولمرت عن التحدث مما زاد الجمهور اعجابا به.

وان نتنياهو الذي حاول كيل المديح لرئيس الوزراء من اجل نيل العطف اخطأ وتحول خلال الحديث لشخص يستغل الاوضاع مما منح الاخرين فرصة لمهاجمته حين اعتبر نفسه وريثا لشارون. وعلى الفور، فقد خرج المتحدثون من حزب كديما ليفسروا ما قاله اولمرت حول اسم شارون في المكان الاول بان ذلك لم يكن الا رمزيا وانسانيا، وان شارون لن يكون رئيس الحكومة القادم حتى لا تضيع الامور.

وكذلك فان جانبا آخر من استطلاع الرأي لمعهد «داحف» حول ذلك الخطأ الذي كاد يقع فيه اولمرت اظهر بأن ذلك الامر لا يعتبر مقبولا من ناحية الجمهور الاسرائيلي، حيث اوضح 75 في المائة من الجمهور بان وضع شارون في المرتبة الاولى يعتبر خطأ لا يوافقون عليه اذا كان وضعه الصحي الحقيقي غير متلائم لذلك، وان جميع الاحزاب رأت بذلك علامة واضحة على ما سيجري في الانتخابات، بل ان نتنياهو الذي صمت لمدة اسبوع وعاد فأصدر أوامره للوزراء من الليكود بالاستقالة وترك الحكومة وهذا ما عبر عنه الجمهور بان من حق نتنياهو فعل ذلك. وان خطوة وزراء الليكود كشفت وبسرعة طبيعة الصراعات القادمة التي سيشهدها هذا الحزب وانهم ـ مثلهم مثل بيريس ـ لا زالوا دون قرار نهائي في هذه الاثناء، وان نتنياهو مثله مثل بيريس لا زال يتلقى الضربات سواء قبل تركه للحزب او بعده.

وزراء الليكود كما هو واضح لن يكونوا داخل الحكومة في اجتماعها الاسبوع المقبل، وان اولمرت سيعين الوزراء الذين كان شارون ينوي تعيينهم في حكومته، وحول وظائفهم فانه سيقرر ذلك بمفرده.

سيكون هناك ثلاثة من اعضاء الكنيست من الليكود، روني بار أون، زئيف بويم ويعقوب ادري، وثلاثة من نواب حزب العمل، شمعون بيريس كوزير للخارجية على ما يبدو، داليا ايتسيك التي ستعود لحقيبة وزارة الاتصالات وحاييم رامون.

سيما كدمون
محللة في الصحيفة
(يديعوت احرونوت) 2006/1/13

ثلاث استراتيجيات ممكنة لاسرائيل في عهد اولمرت القادم:

خريطة الطريق.. السعي الى التسوية الدائمة والخطوات احادية الجانب التي تلوح كالاستراتيجية الاكثر احتمالا

■ رئيس الوزراء القادم لاسرائيل سيكون أغلب الظن زعيم «كديما» ايهود اولمرت. والسؤال الاساس هو ما اذا كان اولمرت سيواصل طريق اريبل شارون، أم أنه سيختار مسلكا مستقلا. اولمرت لا بد سيقول انه يعتزم تطبيق خطط شارون بعد الانتخابات. أما عمليا، فان شارون لم يكشف ابدا عن كل اوراقه السياسية، والمواقف التي طرحها (امام لجنة المحررين في 2005/10/29 مثلا) كانت على ما يبدو مواقف ابتدائية.

اولمرت أيضا، على نحو يشبه يمينيين غير قليلين، اجتاز في السنوات الاخيرة انقلابا فكريا. فقد أيد فك الارتباط احادي الجانب عن قطاع غزة، تلك الخطوة التي قادها شارون. ولكن خلافا لشارون، لا يوجد لاولمرت حساب دموي مع الفلسطينيين وان كان هو ايضا لا يميل الى الثقة بهم. ومن اقواله في السنتين الاخيرتين يبدو أنه توصل الى الاستنتاج بأنه لا يمكن لاسرائيل أن تبقى دولة ديمقراطية يهودية اذا لم تغير سياستها التقليدية. ولا ريب أنه يوجه خطاه الخوف من الديمغرافيا السلبية التي تتطور بين اسرائيل والفلسطينيين. ولهذا فهو يوافق على التقلص في مناطق يكون فيها لاسرائيل اغلبية يهودية كبيرة.

اولمرت يخشى من أن يتواصل الارهاب الفلسطيني حتى بعد أن تصل اسرائيل، اذا ما وصلت الى اتفاقات حل وسط اليمة مع الفلسطينيين. وسواء فعلوا ذلك عن عمد أم لانهم غير قادرين على الايفاء بوعودهم بوقف اعمال العنف. هذا ما حصل للفلسطينيين في الاردن وفي لبنان ايضا، حيث أدوا الى حروب أهلية. وفكر شارون في أنه سيكون بوسعه احلال وقف تام للارهاب بالقوة. ولكن هذا لم يحصل. وتشجع هذه الحقيقة اولمرت على التفكير بمواصلة خطوات اسرائيلية كبيرة احادية الجانب مثلما في قطاع غزة.

بعد الانتخابات ستقف الحكومة برئاسته امام بضع امكانيات. كل واحدة منها ستملي استراتيجية مختلفة. احدى الامكانيات هي ان الفلسطينيين سيواصلون الارهاب. حكومة اسرائيل ستنتظر تطبيق خريطة الطريق من قبل الفلسطينيين، وفي هذه الاثناء ستدرد باجراءات عسكرية. وواشنطن سترى في ذلك حربا دفاعية ولكنها ستطلب من اولمرت تطبيق وعد شارون بتفكيك المواقع الاستيطانية غير القانونية ووقف توسيع الاستيطان القائم. هذا المطلب قائم في خريطة الطريق وفي الوعود التي قطعها شارون في رسائله الى الرئيس بوش ووزيرة الخارجية كوندوليزا رايس.

امكانية استراتيجية اخرى، أمر أصعب ولهذا فهي ذات احتمالات اقل. وهي السعي مباشرة الى اتفاقات دائمة. من المشكوك فيه أن تكون م.ت.ف قادرة وحدها على الوصول الى اتفاق كهذا مع اسرائيل، ناهيك عن أن حماس من المؤكد أنها ستزيد قوتها في الانتخابات. وبدون مساعدة حقيقية من جانب الدول العربية الرائدة فان عربة المفاوضات ستعلق، مثلما حصل مع ايهود اولمرت وياسر عرفات في كامب ديفيد.

الامكانية الاستراتيجية الثالثة تعيد اولمرت وحكومة اسرائيل الى الخطوات احادية الجانب. في هذه الامكانية ستحاول اسرائيل ان تقرر بنفسها الحدود المؤقتة، المذكورة في خريطة الطريق، حيال السلطة الفلسطينية التي ستصبح في تالي السياق دولة. اسرائيل لا يمكنها أن تفعل ذلك بدون انسحابات اخرى، او فقط بواسطة جدار الامن والفصل. ومن هنا، فان الحديث يدور قبل كل شيء عن انسحاب من مستوطنات منعزلة ومن مواقع استيطانية غير قانونية. وفي السياق أيضا انسحاب من احياء عربية في شرقي القدس. هذا بعيد جدا عما كان اولمرت مستعدا له في حينه كرجل الليكود. هذه المرة ستمنح له فرصة تاريخية لتحقيق ما هو اهم لدولة اسرائيل: الحفاظ على استقلالها اليهودي والديمقراطية وضمان أمنها.

زئيف شيف
خبير أمني واستراتيجي
(هآرتس) 2006/1/13

القرار الاخير بتقطيع اوصال الضفة يطرح قضية خسارة المعركة

فشل الجيش الاسرائيلي في ايجاد حل للجهاد يترجَم بزيادة القيود الجارفة على السكان الفلسطينيين

■ دون أي بلاغ علني غيّر الجيش الاسرائيلي في الاسابيع الاخيرة تغييرا كاملا ترتيبات الحركة للفلسطينيين في الضفة. والمعنى العملي للقرار هو تقطيع الضفة الى ثلاثة اجزاء (التقدم في بناء الجدار في القدس قد بدأ بالفصل بين جنوب الضفة وشمالها) على نحو يشبه جدا ما درجت اسرائيل على عمله في قطاع غزة، حتى انسحابها منه. ومن ناحية مئات الاف الفلسطينيين، من سكان المنطقة فان هذا تراجع خطير الى الوراء الى الايام العسيرة لحملة «السور الواقي».

القيود الجديدة على الحركة فرضت في اطار المطاردة التي يجريها الجيش والمخابرات الاسرائيليين، بنجاح جزئي فقط، لشبكة الجهاد الاسلامي في شمالي الضفة، والمسؤولة عن قتل 24 اسرائيليا في العام الماضي. وقد شددت القيود في اعقاب العملية الاخيرة للشبكة، حين فجر المخرب الانتحاري نفسه عند المخرج الجنوبي من طولكرم فقتل ضابطا من الجيش الاسرائيلي، الملازم اوري بنمو وفلسطينيين. وأدى تحليل العمليات الانتحارية الخمس التي نفذتها الشبكة العام الماضي الى الاستنتاج بأنه في معظم الحالات جرى اعداد العملية في مسار مشابه. ومما نشر عن التحقيق في العمليات السابقة يمكن القول بالتعميم ان اعداد العبوة تم في جنين او في قباطيا المجاورة، وعثر على الانتحاري في القرى شمالي طولكرم (علار، عتيل، صيدا) والربط بينهم جرى في طولكرم نفسها. من هناك، انتقل الانتحاري والمرشد بشكل عام جنوبا باتجاه القدس، استغلوا الجدار غير المتواصل للتقدم غربا، نحو الهدف في وسط البلاد.

الصعوبة المركزية في مكافحة الجهاد هي استخبارية. فالجيل الحالي من نشطاء المنظمة اكثر تطورا بكثير من الشبكات التي عملت باسمها قبل سنتين. وحتى بعد الضربة التي وجهت ضد اثنين من كبار المسؤولين في الشبكة الشهرين الاخيرين، نشأت مجموعة جديدة تضم نحو ثمانية نشطاء (قتل اثنان منهم أمس في عملية اخرى للجيش الاسرائيلي في جنين) والتي تنسق النشاطات في ظل اتخاذ وسائل متشددة في السرية. وفي جهاز الامن يفترضون أنه في كل لحظة معينة تعنى الشبكة بالاعداد لاطلاق اثنين ـ ثلاثة انتحاريين الى الجبهة الداخلية في اسرائيل. والنقص في المعلومات الاستخبارية الملموسة يجعل من الصعب القاء القبض عليهم ولهذا تستخدم وسائل تشويش مثل تقطيع اوصال الضفة. فالقطع بين جنين وطولكرم يفترض أن يضع المصاعب في وجه نقل العبوات، فيما أن اغلاق الطريق الجنوبي سيجعل من الصعب العبور الى القدس. والتغييرات كفيلة بأن تجبر الخلايا على تغيير انماط عملها بشكل يسهل القبض عليها.

في السنتين الاخيرتين انتهج في الجيش الاسرائيلي ميل ايجابي، وان كان بطيئا جدا، يتمثل بالازالة التدريجية للحواجز حول القرى والمدن الفلسطينية. فالطوق المتشدد ازيل عن كل مدن الضفة، باستثناء نابلس. وفي ظل تهديد ارهابي واسع، تضمن ايضا خلايا نشطة من فتح وحماس، اتخذت مخاطرات مدروسة. ولكن الاجراءات الجديدة لا تتخذ الا حيال تهديد الجهاد في الوقت الذي تقلل فيه فتح وحماس نشاطاتهما الارهابية، على خلفية التهدئة والانتخابات القادمة في المناطق.

وفضلا عن الخطر العاجل المحدق من الجهاد، فان قطع الضفة ينخرط ضمن الخطط السياسية التي تبلورت في فترة حكومة شارون: الحفاظ على الكتل الاستيطانية، بناء الجدار، فك ارتباط محتمل عن مستوطنات منعزلة اخرى في الضفة وبداية «فصل حركتي السير» ـ تثبيت شبكات طرق منفصلة للاسرائيليين والفلسطينيين. غير أن الجيش يتجاهل حقيقة أن وضع الطرق تحت تصرف الفلسطينيين بائس وكل محاولة لربط جهات أجنبية في مشاريع اعادة ترميمها ستفشل في ضوء رائحة الابرتهايد التي تنم عن هذه الخطط. لا ينبغي لنا أن نحسد قادة الجيش الاسرائيلي في المناطق. فمكافحة الارهاب، الذي يعمل من قلب سكان مدنيين، يستوجب حسما متواصلا بين امكانيات سيئة. قبل اسبوعين، استنادا الى معلومات استخبارية جزئية، اطلق قائد اللواء الشرقي افرايم، العقيد اهرون حليوة، عشرات الدوريات الى المنطقة ونجح في سد طريق الانتحاري من طولكرم الى منطقة القدس. وكلف احباط العملية حياة الملازم بنمو. ولكن القرار الاخير بتقطيع اوصال الضفة يطرح التخوف في أن تكون قد انتهت لدى قوات الامن الافكار لمكافحة الجهاد. وعندما لا تتوفر مثل هذه الحلول، يميلون الى القيود الجارفة. وهذا عقاب جماعي، يفرضه جيش يجد صعوبة في توفير الاجوبة.

عاموس هرئيل
المراسل العسكري للصحيفة
(هآرتس) 2006/1/13س

اولمرت ليس الوريث وان كان سيقود كديما في الانتخابات المتابعة اليومية لصحة شارون بدأت تثير التعب

■ الانشغال اليومي بالحالة الصحية لاريبل شارون الذي اصيب بجلطة دماغية بدأ يثير التعب. فالنقاش في تفاصيل الحالة هو تسلل لا يطاق الى حرمة الفرد. تنفس بذاته، لم يتنفس بذاته، حرك اصبعا، لم يحرك اصبعا، استجاب للالم، لم يستجب للالم، فيما كل تقرير يترافق والعبارة المتكررة «حالته صعبة ولكن مستقرة»، والتي تبدو كغطاء علني لاخفاق الطاقم الطبي. أحد الاطباء افاد بأنه ربت يد شارون عندما كان فاقد الوعي، فدفع شارون اليد الرابتة. ماذا يمكن للمواطن العادي أن يفهم من ذلك؟ أن وعيه قد عاد اليه؟ المعلومات انتقائية لدرجة أن المستمع يصعب عليه أن يعرف اذا كانت التقارير في أنهم اسمعوه اسطوانة موتسارت أو ادخلوا الى غرفته شاورما أحبها جدا، كي يفحصوا اذا كان سيرد على الفعل، هي حقيقة أم مزاحا.

مثل هذه التفاصيل لم تخرج حتى عندما كان البابا يوحنا بولس الثاني يحتضر وميدان سانت بطرس مليء بعشرات الاف المصلين لسلامته. وجه الشبه الوحيد بين البابا المنازع فاقد الوعي وبين شارون هو أنه فيما أنهما يكافحان في سبيل حياتهما، تدور خلف الكواليس صراعات ومناورات على الوراثة الى أن تخرج البشرى باختيار الوريث. البابا المنصرف، حسب التقاليد، هو بشكل عام على دور كبير في اختيار وريثه. وهو يتطلع الى القائم بالاعمال الذي يواصل طريقه وروحه. وقبل أن نعرف عن الوضع الحقيقي لشارون، كان هناك أمر واحد واضح: انه لن يعود ليشغل منصب رئيس الوزراء، ولن يترك خلفه وريثا على صورته وطبيعته. فزعماؤنا أكثر شكا من أن يؤهلوا لانفسهم ورثة. وبالاساس خشية ألا يكون الوريث المعلن مفعم الولاء، بل يسعى للتآمر على ولي نعمته. ايهود اولمرت ليس الوريث وان كان سيقود كديما في الانتخابات. وهو قد وصل الى حيثما وصل فقط لانه كان هناك. شارون، الذي أعلن عن سحب حلم ارض اسرائيل الكاملة وقرر وضع حد للاحتلال، كان على عشر درجات أعلى من كل زعيم آخر منذ السلام مع مصر. والنوبة الدماغية أمسكت به في توقيت حرج، في ذروة تحول في الخريطة السياسية. فبانسحابه من رئاسة الليكود لغرض اقامة كديما، الحزب الذي حظي مع اقامته على توقع بـ42 مقعدا، وهو ظاهرة نادرة في تاريخ السياسة الاسرائيلية، وترك بنيامين نتنياهو المتآمر مع المتطرفين في الليكود مقلصا، مكروهاً من معظم الجمهور، فانه يتطلع الى التوصل الى تسوية. وفي الانقلاب الذي حل بالتوازي في العمل انتصر عمير بيرتس، المتفرغ السياسي غير المؤهل ظاهرا لرئاسة الوزراء في هذا الزمن، والذي ادى الى انسحاب شمعون بيريس من العمل. الضربات التي تلقاها الحزبان الكبيران القديمان اتاحت لشارون ان يجمع حوله لاجئين مؤهلين من الحزبين وشخصيات جديدة من خارج الساحة السياسية ممن قرروا الدخول الى الحياة السياسية. التأييد الكبير لكديما يقف بفضل ذاته حتى بعد مرض شارون ب